ويقول سبحانه بعد ذلك :

﴿ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ(1) وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾

هذه الآية جاءت بشيء من التفصيل لقول الحق سبحانه في أواخر سورة يوسف :

﴿ وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) ﴾ [يوسف]

وتلك آية تنضم إلى قوله تعالى :

﴿ رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا .. (٢) ﴾ [الرعد]

وتنضم إلى :

﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ .. (٢) ﴾ [الرعد]

وتنضم إلى قوله سبحانه :

﴿ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ .. (٣) ﴾ [الرعد]

وحين نتأمل قول الحق سبحانه :

---

(1) الصنو (بكسر الصاد وضمها) : المثل ، إذا طلعت اثنتان أو أكثر من النخل أو الشجر من أصل واحد ، قيل لكل واحد منهما صنو . والجمع صنوان (بضم الصاد وكسرها) . [القاموس القويم ١/ ٣٨٤] .

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ .. (٤)﴾ [الرعد]

نجد أننا لا نستطيع أن نعرفها بأنها التى يعيش عليها أمثالنا ؛ تلك هى الأرض ، ولو أردنا تعريفها لأبهمناها ، فهى أوضح من أن تُعَرَّف .

وكلمة « قطَع » تدلُّ أول ما تدلُّ على « كل » ينقسم إلى أجزاء ، وهذا الكُلُّ هو جنس جامع للكلية ؛ وفيه خصوصية تمييز قطع عن قطع .

وأنت تسمع كلام العلماء عن وجود مناطق من الأرض تُسمَّى حزام القمح ، ومناطق أخرى تُسمَّى حزام الموز ؛ ومناطق حارة ؛ وأخرى باردة .

وقول الحق سبحانه :

﴿قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ .. (٤)﴾ [الرعد]

هو قول يدل على الإعجاز ؛ فعلى الرغم من أنها متجاورات إلا أن كلاً منها تناسب الطقس الذى توجد فيه ؛ فزراعة الذرة تحتاج مناخاً مُعيناً ؛ وكذلك زراعة الموز .

وهكذا تجد كل منطقة مناسبة لما تنتجه ، فالأرض ليست عجينة واحدة استطراقية ، لا بل هى تربة مناسبة للجو الذى توجد به .

ومن العجيب أن فيها الأسرار التى يحتاجها الإنسان ؛ هذا السيد الذى تخدمه كل الكائنات ، فليست الأرض سائلة فى التماثل ؛ بل تختلف بما يناسب الظروف ، فهناك قطعة سبخة لا تنبت ؛ وأخرى خصبة تنبت .

بل وتختلف الخصوبة من موقع إلى آخر ؛ ومن قطعة إلى أخرى ؛ فثمرة الجوافة من شجرة معينة فى منطقة معينة تختلف عن ثمرة الجوافة من شجرة فى منطقة أخرى ؛ والقمح فى منطقة معينة يختلف عن القمح فى منطقة أخرى ؛ ويقال لك « إنه قمح فلان » .

ويحدث ذلك رغم أن الأرض تُسْقَى بماء واحد .

ويقول العلماء البعيدون عن منطق السماء : « إن السبب فى الاختلاف هو عملية الاختيار والانتخاب » . وكأنهم لا يعرفون أن الاختيار يتطلب مُخْتاراً ، وأن يكون له عقل يُفكِّر به ليختار ، وكذلك الانتخاب فهل البُذَيْرات تملك عقلاً تُفكِّر به وتختار ؟ طبعاً لا .

ويقولون : إن النبات يتغذَّى بالخاصية الشعرية ، ونعلم أن الأنابيب الشعرية التى نراها فى المعامل تكون من الزجاج الرفيع ؛ وإذا وضعناها فى حوض ماء ، فالماء يرتفع فيها على مستوى الإناء .

وإنْ صدَّقْنا العلماء فى ذلك ، فكيف نُصدِّقهم فى أن شجرة ما تأخذ ماءً مثل الشجرة الأخرى ؛ وتنتج كل منهما نفس الثمار ؛ لكن ثمار شجرة تختلف عن الأخرى فى الطَّعْم ؟

ونقول : إن كل شجرة تأخذ من الأرض ما ينفعها ؛ ولذلك تختلف النباتات ، ويحدث كل ذلك بقدرة الذى قَدَّر فهدى .

وهكذا نرى الأرض قطعاً متجاورات ؛ منها ما يصلح لزراعة تختلف عن زراعة الأرض الأخرى .

وقد يقول بعض من الملاحدة : إن هذا الاختلاف بسبب الطبيعة والبيئة .

وهؤلاء يتجاهلون أن الطبيعة فى مجموعها هى الشمس التى تعطى الضوء والحرارة والإشعاع ، والقمر أيضاً يعكس بعضاً من الضوء ، والنجوم تهدى مَنْ يسير فى الفَلاَة[1] ، وتيارات الهواء تتناوب ولها مسارات ومواعيد .

ورغم كل ذلك فهناك أرض خِصْبة تنتج ، وأرض سبخة لا تنتج ، وأرض حمراء ؛ وأخرى سوداء ، وثالثة رملية ، وكلها متجاورة .

لا بد إذن من وجود فاعل مختار يأمر هذه أمراً مختلفاً عن تلك .

ويتابع الحق سبحانه فى نفس الآية :

﴿ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ .. (٤) ﴾ [الرعد]

وجاء الحق سبحانه هنا بالمُرفِّهات أولاً ؛ فتحدث عن الفاكهة ؛ ثم تحدث عن الزرع الذى منه القُوت الأساسى ، ونحن فى حياتنا نفعل ذلك ؛ فحين تدخل على مائدة أحد الكبار ؛ تجد الفاكهة مُعدَّة على أطباق بجانب المائدة الرئيسية التى يُقدَّم عليها الطعام .

ويأتى الحق سبحانه بعد الأعناب والزَّرْع الذى منه القُوت الضرورى بالنخيل ، وهو الذى ينتج غذاء ، وقد يكون التمر الذى ينتجه تَرَفاً يتناوله الإنسان بعد تناول الطعام الضرورى .

وقول الحق سبحانه :

﴿ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ .. (٤) ﴾ [الرعد]

---

(١) الفلاة : القفر من الأرض التى لا ماء بها ولا أنيس . والفلاة : المفازة . وقيل : هى الصحراء الواسعة . [لسان العرب ـ مادة : فلا] .

يتطلب منَّا أن نعرف ما الصنوان ؟ ونجد الرسول ﷺ يقول : « العم صنْو أبيك»[1] أى : أن الصِّنْو هو المثْل .

وبهذا يكون معنى الصِّنْوان هو المِثْلان . ونرى ذلك واضحاً فى النخيل ؛ فنرى أحياناً أصلاً واحداً تخرج منه نخلتان ؛ أو ثلاث نخلات ؛ وأحياناً يخرج من الأصل الواحد أربع أو خمس نخلات .

ويُطلق لقب « الصنوان » على الأصل الواحد الذى يتفرع إلى نخلتين أو أكثر ؛ فكلمة « صنوان » تصلح للمثنى والجمع ، ولكنها فى حالة المثنى تُعامل فى الإعراب كالمثنى ؛ فيقال « أثمرتْ صنوان » و « رأيت صنوين » أما فى حالة الجمع فيقال « رأيت صنواناً » و « مررْتُ بصنوان » . والمفرد طبعاً هو « صنْو » .

ويقول سبحانه هنا فى الآية التى نحن بصدد خواطرنا عنها :

﴿ وجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وزَرْعٌ ونَخِيلٌ صِنْوَانٌ وغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ ونُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الأُكُلِ .. (٤) ﴾ [الرعد]

ومن العجيب أن كل شجرة تأخذ عَبْر جذورها كمية من الماء والغذاء اللازم لإنتاج ثمار ذات شكل وطَعْم مختلف .

وهذا ما جعلنا نقول من قَبْل : إن افتراضات العلماء المتخصصين فى علوم النبات عن أن النباتات تتغذَّى بخاصية الأنابيب الشعرية هو افتراض غير دقيق .

فلو كان الأمر كذلك لأخذت الأنابيب الشعرية الخاصة بنبات

---

(١) أخرج مسلم فى صحيحه (٩٨٣) من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال لعمر رضى الله عنه « يا عمر أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه » وكذا أخرجه أحمد فى مسنده (٢/٣٢٢) .

المواد التى أخذتها الأنابيب الشعرية الخاصة بنبات آخر . والأمر ليس كذلك ، فكل نبات يأخذ من الأرض ما يخصه فقط ، ويترك ما عدا ذلك .

ذلك أن الثمار لكل نبات تختلف ولا تتشابه ؛ بل إن الشجرة الواحدة تختلف ثمارها من واحدة إلى أخرى .

مثال هذا : هو شجرة المانجو أو النخلة المثمرة ، ويمكنك أن تلاحظ نفسك ، وسترى أنك تنتقى من ثمار المانجو القادمة من شجرة واحدة ما يعجبك ، وترفض غيرها من الثمار ، وسترى أنك تنتقى من ثمار البلح القادم من نخلة واحدة ما يروقُ لك ؛ وترفض بعضاً من ثمار نفس النخلة .

وحين تذهب لشراء الفاكهة ؛ فأنت تشترى حسب موقفك من الادخار ؛ فإنْ كنتَ تحب الادخار فسوف تشترى الفاكهة التى من الدرجة الثانية ؛ وإذا كنت تحب أن تستمتع بالطيب من تلك الفاكهة فسوف تشترى من الفاكهة المتميزة .

وأتحدى أنْ يقف واحد أمام قفص للفاكهة ، وينتقى الثمار غير الجميلة الشكل والرَّوْنق[1] ، بل يحاول كل إنسان أن يأخذ الجميل والطيب من تلك الفاكهة ، وحين يدفع ثمن ما اشترى سنجده يدفع النقود الورقية القديمة التى تُوجد فى جيبه ، وسيحتفظ لنفسه بالنقود الجديدة .

وهذا الموقف يغلب على مواقف أى إنسان ، فهو مُقبل دائماً على رَفْض أخذ السيء ؛ وخائف دائماً على التفريط فى الحسَن .

---

(١) الرونق : الصفاء والحسن . [لسان العرب ـ مادة : رنق] .

والحق سبحانه يقول :

﴿ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّى إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الإِنفَاقِ .. ﴿١٠٠﴾ ﴾ [الإسراء]

وأنت لا تجد فى الثمار تشابهاً ، بل اختلافاً فى الطَّعْم من نوع إلى نوع ؛ كذلك تجد اختلافاً فى طريقة تناولها ؛ فلا أحد منَّا يأكل البلحة بكاملها ، بل نأكل ثمرة البلحة بعد أن نُخرج منها النواة ؛ ونأكل ثمرة التين بأكملها ، ونخرج ما فى قلب حَبَّة المشمش من بذرة جامدة ، ثم نأكل المشْمشة من بعد ذلك .

فكل ثمرة لها نظام خاص ؛ وليست مسألة ميكانيكية فى عطاء الله لثمار متشابهة ؛ بل هناك اختلاف ، ويمتد هذا الاختلاف إلى أدقِّ التفاصيل ؛ لدرجة أنك حين تتناول قطْفاً من العنب تجد اختلافاً لبعض من حبَّات العنب عن غيرها .

ونحن لا نُفضِّل بعضاً من الفاكهة على البعض الآخر فى الأُكل فقط ، بل نُفضِّل فى الصنف الواحد بعضاً من ثماره عن البعض الآخر .

وحين تقرأ :

﴿ نُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الأُكُلِ .. ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد]

فاعلم أنه لا يوجد شىء أو أمر مُفضَّل على إطلاقه ، وأمر آخر مفضول على إطلاقه ، فما دُمْنَا نُفضِّل بعضه على البعض الآخر ؛ فهذا يعنى أن كلاً منهما مُفضَّل فى ناحية ، ومفضول عليه فى ناحية أخرى .

والمثل الواضح أمامنا جميعاً أننا حين نجلس إلى مائدة عليها ديك رومى قد تجد يدك تتجه إلى طبق « المخلل » قبل أن تمتدَّ يدك إلى الديك الرومى ؛ لأن « نفسك » قد طلبتْه أولاً ، فلا نقُلْ : إن هناك

شيئاً مفضولاً عليه طوال الوقت ، أو شيئاً مفضلاً كل الوقت .

وكذلك الناس ؛ إياك أن تظن أن هناك إنساناً فاضلاً على إطلاقه ؛ وآخر مفضولاً على إطلاقه ؛ بل هناك إنسان فاضل فى ناحية ، ومفضول عليه فى ناحية أخرى .

والمَثَل : هو صاحب السيارة الفارهة ؛ ثم ينفجر إطار سيارته ؛ فيتمنى أن يرزقه الله بمَنْ يمرُّ عليه ليقوم بتغيير إطار السيارة ؛ فيمرُّ عليه هذا الإنسان صاحب الملابس غير النظيفة بما عليها من شحوم ؛ فيكون هذا الإنسان أفضل منه فى قدرته على فَكِّ الإطار المنفجر بالإطار السليم الاحتياطى .

وهكذا نشر الله الفضل على الناس ليحتاج بعضهم لبعض ؛ ولذلك أقول : حين تجد نفسك فاضلاً فى ناحية إياك أنْ تقعَ فى الغرور ؛ واسأل نفسك : ما الذى يَفْضُل عليك فيه غيرك ؟

وتذكَّر قول الحق سبحانه :

﴿ لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ .. (١١) ﴾ [الحجرات]

وهكذا شاء الحق سبحانه أن يُوزِّع الفضل بين الناس ، ليحتاج كل منهم الآخر ، وليتكامل المجتمع . وكذلك وَزَّع سبحانه الفضل فى الأطعمة والفواكه والثمار ، وانظر إلى نفسك لحظة أنْ تُقدِّم لك أصناف متعددة من الفاكهة ؛ فقد تأخذ ثمرة من الجميز قبل أن تأخذ ثمرة من التفاح ؛ فساعة طلبتْ نفسك ثمرة الجميز صارت فى تقدير الموازين والتبادل هى الأفضل ، وكل إنسان يمكن أن يجد ذلك فيما يَخصُّه أو يُحبه .

والحق سبحانه هو القائل :

﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) ﴾ [الرعد]

ولذلك نجد الإنسان وهو يُلوِّن ويتفنَّن في صناعة الطعام ، ويختلف إقبال الأفراد على الأطعمة المُنوَّعة ، وقد تجد اثنين يُقبلان على لحم الدجاج ؛ لكن أحدهما يُفضِّل لحم الصدر ؛ والآخر يُفضِّل لحم « الوِرك » ، وتجد ثالثاً يُفضِّل لحم الحمام ؛ وتجد رابعاً يفضل تناول السمك .

بل إنك تجد اختلافاً في طريقة تناول مَنْ يحبون السمك ؛ فمنهم مَنْ يحب أكل رأس السمكة ، ومنهم مَنْ يحب لحم السمكة نفسها ، ولا أحد يملك معرفة السبب في اختلاف الأمزجة في الانجذاب إلى الألوان المختلفة من الأطعمة .

وحين تتأمل تلك المسائل قد يأتي إلى خاطرك قول الحق سبحانه :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ .. (٢٨) ﴾ [البقرة]

والسؤال هنا من الله للتعجُّب ؛ والتعجُّب عادة يكون من شيء خَفي سببه ، فهل يَخْفَى سبب على الله ليتعجب ؟

طبعاً لا ، فسبحانه مُنزَّه عن ذلك ، وسبحانه يعلم سبب كفر الكافرين ؛ لكنه ينكر عليهم أسباب الكفر .

والمثَلُ من حياتنا ـ ولله المَثَلُ الأعلى ـ فأنت تجد نفسك وأنت تنطق بكلمة « كيف تسُبّ أباك ؟ » لإنسان يوجه كلمات جارحة لوالده ؛ فتتعجب لِتُنكر ما فعله هذا الإنسان .

وكذلك القول : كيف تكفـرون بالله ؟ لأن الكفر شيء لا يتأتى من عاقل . وكان لنا شـيخ هو فضيلة العالم أحمـد الطويل ؛ وكان يحدثنا عن شيخ له حين كان يقرأ قول الحق سبحانه :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ .. (٢٨) ﴾ [البقرة]

كـان يقول : إن الخطـاب هنا عام لكل إنسـان ؛ لأن الحق بعـدها يأتى بالقضية العامة :

﴿ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ .. (٢٨) ﴾ [البقرة]

وهذا القول للعموم . وكان شيخنا يحكي عن شيخه أنه حدثهم أن إنساناً كان مُسـرفاً على نفسه ؛ ثم انصبَّتْ عليـه الهداية مرة واحدة ؛ ورآه كل مَنْ حوله وهـو مُقْبِل على الله ؛ فسـألوه عن سـبب الهداية ، فقال :

كنت أجلس فى بسـتان ، ثم رَاقَ لى عـنقود من العنب ؛ فـقطفتُ العنقود ، وأخذتُ أتأمل فيه ؛ فوجدت غشاءً رقيقاً شفافاً ـ وهو قشرة حبة العنب ـ يشفُّ عما تحته من لحم العِنبة الممتلىء بالعصير .

وحين وضعتُ حـبة العنب فى فمى ؛ صارت مـاء رطباً ؛ وأخذنى العجب من احـتفاظ حـبة العنب ببرودتهـا ورطوبتها رغم حـرارة جوِّ شهـر بؤونة ؛ ثم وجدت بذرة الحبة ولهـا طَعْم المسْك ؛ فلما غـمرنى السرور من طَعْم وجمال العنب سمـعت هاتفاً يهتف بى : « كيف تكفر بالله وهو خالق العنب ؟ » فهتفت : آن يا رب أن أومن بك .

وكل منَّا له أن ينظر إلى شيء يعجبه ؛ وسيجد الشيء كأنه يقول له : كـيف تكفـر بالله وهو خـالقـى ؟ وهكذا سنجـد كل إنسـان وهو

مُخاطب بهذه العبارة ، لأنه ما من كائن إلا وله شيء يعجبه في الكون .

وهكذا نفهم معنى قول الحق سبحانه :

﴿ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ .. ④ ﴾ [الرعد]

ونجد أي شيء هو فاضل في وقت الحاجة إليه وطلبه ؛ وكل شيء مَفْضُول عليه في وقت ما ؛ وإنْ كان فاضلاً عند مَنْ يحتاجه . ونجد أن التفضيل هنا عند الأكُل .

والأُكل هو ما يُؤكَل ؛ لا الآن فقط إنما ما يؤكل الآن أو بعد ذلك، وسبحانه القائل :

﴿ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ[1] فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ[2] .. (٢٦٥) ﴾ [البقرة]

وسبحانه يقول أيضاً :

﴿ أُكُلُهَا دَائِمٌ .. (٣٥) ﴾ [الرعد]

وكذلك قال :

﴿ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا .. (٢٥) ﴾ [إبراهيم]

وهكذا نجد أن الأُكل مقصود به ما يُؤكل الآن ، وما بعد الأكل أيضاً .

---

(١) الوابل : المطر الغزير . وبل المطر : كثر وعظُم قَطْره . [القاموس القويم ٣١٨/٢] .

(٢) الطَّل (بفتح الطاء) : المطر الخفيف يكون له أثر قليل ، لكنه يقي النبات شر الظمأ . قال تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ .. (٢٦٥) ﴾ [البقرة] . فإن لم يصب الربوة أو الحديقة وابل يسقيها ويرويها فإنه يصيبها طل ، فهي محفوظة من الظمأ دائماً . [القاموس القويم ٤٠٦/١] .

ويُذيل الحق سبحانه الآية الكريمة بقوله :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد]

وبعض الناس يظنون أن العقل يعنى أنْ يمرحَ الإنسان فى الأشياء ، وأنه يعطى الإنسان الحرية المطلقة ، ومثل هذا الظن خاطىء ؛ لأن العقل جاء ليُبصِّر الإنسانَ بعواقب كُلِّ فعل ونتائجه ، فيقول للإنسان : « إياك أنْ يستهويك الأمر الفلانى لأن عاقبته وخيمة » . ومن مادة العين والقاف واللام عقل . ويقال : عقلْتُ البعير.

ومن مهام العقل أنْ يُفرز الأشياء ، وأنْ يفكر فيها ليستخرج المطلوب ، وأنْ يتدبر كل أمر ، فعمليات العقل هى الاستقبال الإدراكى والبحث فيه لاستخلاص الحقائق والنتائج ، وأن يتدبر الإنسان كل أمر كى يتجنب ما فيه من ضرر .

والمثل : هو ما توصَّل إليه بعضٌ من العلماء من اكتشاف لأدوية يستخدمونها لفترة ما ، ثم يعلنون عن الاستغناء عنها ؛ لأن آثارها الجانبية ضارة جداً ؛ وهذا يعنى أنهم لم يتدبروا الأمر جيداً ؛ وخَطَوْا خطوات إلى ما ليس لهم به كامل العلم .

وقول الحق سبحانه :

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤) ﴾ [الرعد]

نلحظ فيه توجيهاً بالتعاون بين العقول ، لتبحث فى آيات رَبِّ العقول ؛ فلا يأخذ أحد قراراً بعقله فقط ؛ بل يسمع أىّ منّا لرأى عقل ثانٍ وعقل ثالث ورابع ؛ ليستطيع الإنسان تدبُّر ما يمكن أنْ يقع ؛ ولتتكاتف العقول فى استنباط الحقائق النافعة التى لا يتأتَّى منها

ضرر فيما بعد ؛ لأن من استبد برأيه هلك ، ومن شاور الرجال شاركهم في عقولهم .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿ وَإِن تَعۡجَبۡ فَعَجَبٞ قَوۡلُهُمۡ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡأَغۡلَٰلُ فِيٓ أَعۡنَاقِهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾ ﴾

والعجب هو أن تُبدى دهشة من شيء لا تعرف سببه ، وهذا التعجب لا يتأتّى من الله ؛ لأنه سبحانه يعلم كل شيء ، فإذا صدر عجب من الله مثل قوله الحق :

﴿ كيف تكفُرُون بالله .. (٢٨) ﴾ [البقرة]

فمعنى هذا أنه سبحانه يُنكر أن يكفر الإنسان مع قيام الأدلة على الإيمان ؛ لكن بعضاً من الناس - رغم ذلك - يكفر بالله .

وقول الحق سبحانه

﴿ وإن تعجبْ.. (٥) ﴾ [الرعد]

هو خطاب مُوجّه لرسول الله ﷺ ، وكان رسول الله ﷺ يتعجّب من أنهم كانوا يُسمُّونه قبل أن يبعثه الله رسولاً بالصادق الأمين ؛ وبعد ما جاءت الرسالة قالوا : إنه ساحر كذاب .

فكيف يكون صادقاً أميناً ببشريته وذاتيته ؛ ثم إذا أمدّه الحق سبحانه بالمَدَد الرِّسَالى تتهمونه بالكذب ؟ ألم يَكُنْ من الأجدر أنْ

تقولوا إنه صار أكثر صدْقاً ؟ وهل من المُمْكن أن يكون صادقاً عندكم ، ثم يكذب على الله ؟

والتعجُّب أيضاً من أنهم أنكروا البعث من بعد الموت ، رغم أنه سبحانه أوضح الأدلة على ذلك ؛ ولكن المؤمنين وحدهم هم الذين استقبلوا أمر البَعْث بالتصديق ؛ بمجرد أن أبلغهم به رسول الله مُبلِّغاً عن ربِّه .

ونجد الحقَّ سبحانه وتعالى قد احترم فُضُول العقل البشرى ، فأوضح سبحانه ذلك ونَصَبَ الأدلة عليه ؛ وأبلغنا أنه لم يعجز عن الخَلْق الأول ؛ لذلك لن يعجز عن البعث .

فقد جاء بنا سبحانه من عدم ، وفى البعث سيأتى بنا من موجود ، ومن الغباء إذنْ أن يتشكَّك أحد فى البعث ، والمُسْرِف على نفسه إنما يُنكر البعث ؛ لأنه لا يقدر على ضبْط النفس ؛ ويظن أنه بإنكار البعث لن يَلْقَى المصير الأسود الذى سيلقاه فى الآخرة

ولذلك تجد المسرفين على أنفسهم يحاولون التشكيك فى البعث ، ويأتى الحق سبحانه بتشكيكهم هذا فى قَوْل الحق سبحانه :

﴿ وقالوا ما هى إلاَّ حياتنا الدُّنيا نموتُ ونَحيا وما يُهْلكُنا إلاَّ الدَّهْرُ ..(٢٤) ﴾ [الجاثية]

ولو أن الواحد منهم وضع مسألة البَعْث فى يقينه لانصرف عن شهواته ، بينما هو يريد أن ينطلق بالشهوات ؛ ولذلك نجدهم يقولون :

﴿ أئذا ضللْنا فى الأرْض .. (١٠) ﴾ [السجدة]

وهم يقصدون بذلك أنهم بعد الموت سيصيرون تراباً ، ويعودون

إلى الأرض كعناصر وتراب تَذْروه[1] الرياح ، فكيف سيأتي بهم الله للبعث ، ويُنشئهم من جديد ؟

ويقول سبحانه :

﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ[2] رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩)﴾ [يس]

ومن الكافرين مَنْ قال : سنصير تراباً ، ثم نختلط بالتربة ، ويتم زراعة هذه التربة ، فتمتزج عناصرنا بما تنبته الأرض من فواكه وخُضر وأشجار ؛ ثم يأكل طفل من الثمرة التى تغذَّتْ بعناصرنا ، فيصير بعضٌ منا فى مكونات هذا الطفل ؛ والقياس يُوضِّح أننا سوف نتناثر ؛ فكيف يأتى بنا الله ؟

كل ذلك بطبيعة الحال من وسوسة الشيطان ووحيه :

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ ..(١٢١)﴾ [الأنعام]

وأقول : لنفترض أن إنساناً قد مرض ؛ وأصابه هُزَال ، وفقد ثلاثين كيلوجراماً من وزنه ، وما نزل من هذا الوزن لا بُدَّ أنه قد ذهب إلى الأرض كعناصر اختلطتْ بها ، ثم جاء طبيب قام بتشخيص الداء وكتب الدواء ، وشاء الله لهذا المريض الشفاء واستردَّ وزنه، وعاد مرة أخرى لحالته الطبيعية ؛ فهل الثلاثين كيلو جراماً التى استردَّها هى هى نفس الكمية بنوعيتها وخصوصيتها التى سبق أنْ فقدها ؟ طبعاً لا .

---

(١) ذرت الريح التراب تذروه : أطارته وسفَتْه وأذهبته . وقيل : حملته فأثارته . [لسان العرب ـ مادة : ذرا] .

(٢) رم الميت : بَلِيَ جسمه . والرميم : الخلق البالى من كل شىء . [لسان العرب ـ مادة : رمم] .

وهكذا نفهم أن التكوين هو تكوين نسبىّ للعناصر ، كذا من الحديد ؛ كذا من الصوديوم ؛ كذا من المغنسيوم ؛ وهكذا .

إذن : فالجزاء فى اليوم الآخر عملية عقلية لازمة ، يقول الحق :

﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢٨) ﴾ [البقرة]

ما دام هناك أمر ؛ وهناك نهى ؛ وهناك منهج واضح يُبيِّن كل شىء . وإنْ كنت تعجبُ يا محمد من الكفار وما يثيرونه من أقضية ، فلَكَ أنْ تعجب لأنها أمور تستحق العجب .

والحق سبحانه حين يخاطب الخَلْق فهو يخاطبهم إمَّا فى أمر يشكُّون فيه ، أو فى أمر لا يشكُّ فيه أحد .

والمَثَل من حياتنا - ولله المَثَلُ الأعلى - حين تخاطب أنت واحداً فى أمر يَشُكُّ هو فيه ؛ فأنت تحاول أن تؤكد هذا الأمر بكل الطرق ، وهكذا وجدنا بعضاً من الناس ينكرون البعث والحساب ؛ ووجدنا الحق سبحانه وتعالى يُذكِّرهم به عبر رسوله ويؤكده لهم .

وأيضاً خاطبهم الحق سبحانه فيما لم يَشُكُّوا فيه ؛ وهو الموت ؛ وقال :

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ .. (١٨٥) ﴾ [آل عمران]

ويقول الرسول ﷺ :

« ما رأيت يقيناً أشبه بالشكِّ من يقين الناس بالموت » .

فالموت يقين ، ولكن لا أحد يحاول التفكير فى أنه قادم ، وسبحانه يقول :

﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ (١٥)﴾ [المؤمنون]

وهذا تأكيد لأمر يُجمع الناس على أنه واقع ، لكنهم لغفلتهم عنه بَدَوْا كالمنكرين له ، لذلك خاطبهم خطابَ المنكرين ، ثم قال بعد ذلك:

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ (١٦)﴾ [المؤمنون]

ولم يَقُلْ : « ولتبعثون » لأن البعث مسألة لا تحتاج إلى تأكيد ، وعدم التأكيد هنا آكد من التأكيد ، لأن أمر الموت واضح جداً رغم الغفلة عنه ، أما البعث فهو واقع لا محالة بحيث لا يحتاج إلى تأكيد .

والمثل من حياتنا - ولله المثل الأعلى - يذهب الإنسان إلى الطبيب ؛ فيقول له الطبيب بعد الكشف عليه « اذهب فلن أكتب لك دواء » . وهذا القول يعنى أن هذا الإنسان فى تمام الصحة ؛ وكأن كتابة الدواء يحمل شبهة أن هناك مرضاً .

وكذلك الحق سبحانه يخاطب الخَلْق فى الشيء الذى ينكرونه وعليه دليل واضح ؛ فيأتى خطابه لهم بلا تأكيد ؛ وهو يوضح بتلك الطريقة أنهم على غير حق فى الإنكار ، أما الشيء الذى يتأكدون منه وهم غافلون عنه ؛ فهو يؤكده لهم ؛ كى لا يغفلوا عنه .

وكذلك فى القَسَم ؛ فنجده سبحانه قد أقسم بالتين والزيتون ؛ وأقسم بالقرآن الحكيم ؛ وأقسم بغير ذلك ، ونجده فى مواقع أخرى يقول :

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ[1] (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَـٰذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) ﴾ [البلد]

والعجيب أنه يأتي بجواب القسم ، فيقول :

﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ[2] (٤) ﴾ [البلد]

وقد يقول قائل : كيف يقول :

﴿ لا أُقْسِمُ .. (١) ﴾ [البلد]

ثم يأتي بجواب القسم ؟

وأقول : لقد جاء هنا بقوله

﴿ لا أُقْسِمُ .. (١) ﴾ [البلد]

وكأنه يُوضِّح ألاَّ حقَّ لكم فى الإنكار ؛ ولذلك ما كان يصحّ أنْ أقسم لكم ، ولو كنت مُقْسماً : لأقسمتُ بكذا وكذا وكذا .

وسبحانه يقول فى الآية التى نحن بصدد خواطرنا عنها :

﴿ وإن تعجبْ فعجبٌ قولُهُمْ أئذا كُنَّا تراباً أئنَّا لفى خلقٍ جديد .. (٥) ﴾ [الرعد]

وهو جلَّ وعلا يُذكِّرهم بما كان يجب ألاَّ ينسوه ؛ فقد خلقهم من تراب ؛ وخلق التراب من عدم ، وهو القائل :

﴿ أفعيينا بالخلق الأوَّل بلْ هُمْ فى لَبْسٍ[3] مِّنْ خلقٍ جديد (١٥) ﴾ [ق]

---

(١) البلد : المكان المحدود يستوطنه جماعات من الناس ، وقد يسمي بها المكان الواسع من الارض ينتفع به أهل البلد . قال تعالى : ﴿ والبلدُ الطَّيِّبُ يخرج نباتُهُ بإذن ربه .. (٥٨) ﴾ [الأعراف] . وقوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهـٰذا البلد (١) ﴾ [البلد] . أى : مكة . [القاموس القويم ١/٨٢] بتصرف .

(٢) الكبد : المشقة والعناء . فالإنسان فى مشقة وعناء ، طول حياته من المهد إلى اللحد . [القاموس القويم ٢/١٤٩] .

(٣) لبس الشيء : خلطه وعمَّاه وأبهمه وجعله مُشْكلاً مُحيراً . وقوله تعالى : ﴿ بلْ هُمْ فى لبسٍ منْ خلقٍ جديد (١٥) ﴾ [ق] . أى : شك . [القاموس القويم ٢/١٨٨] بتصرف .

إذن : فسبحانه يتعجب من أمر هؤلاء ؛ ويزيد من العجب أنهم كذَّبوا محمداً ﷺ بعد أن جرَّبوا فيه الصدق ، ولمسوا منه الأمانة ؛ وقالوا عنه ذلك من قبل أن يُبعث ؛ وفوق ذلك أنكروا البعث مع قيام الدليل عليه .

ويصفهم الحق سبحانه :

﴿ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ .. ۝٥ ﴾ [الرعد]

أى : أن هؤلاء المُكذِّبين لك يا محمد والمُنْكِرين للبعث لم يكفروا فقط بالله الذى أوجب التكليف العبادى ؛ بل هم يكفرون بالربوبية التى تعطى المؤمن والكافر ؛ والطائع والعاصى ، وتأتمر بأمرها الأسباب لتستجيب لأىِّ مجتهد يتبع قوانين الاجتهاد ، فيأخذ من عطاءات الربوبية ؛ وهى عطاءات التشريف التى تضمن الرزق ، بينما عطاءات الألوهية ؛ هى تكليفاتٌ بالطاعة للأوامر التعبدية ؛ الممثلة فى « افعل » و« لا تفعل » .

وسبحانه لا يكلف الإنسان إلا بعد أنْ يبلغ الإنسان درجة النضج التى تؤهله ؛ لأنْ ينجب مثيلاً له ؛ وقد ترك الحق سبحانه كل إنسان يرتع فى خير النعم التى أسبغها سبحانه على البشر ، وكان على الإنسان أن يسعى إلى الإيمان فَوْر أن تصله الدعوة من الرسول المُبلِّغ عن الله ؛ هذا الرسول المشهود له بالصدق والأمانة .

ولذلك نجد الحق سبحانه وهو يَصِف المُنكرين للإيمان :

﴿ أُوْلَـٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ .. ۝٥ ﴾ [الرعد]

ويضيف :

﴿ وأُولَـئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَـئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) ﴾ [الرعد]

والغُلّ : هو طَوْق الحديد الذي له طرف في كل يد ليُقيدها ؛ وطرف مُعلَّق في الرقبة ليُقلل من مساحة حركة اليدين ، ولمزيد من الإذلال .

وهم أصحاب النار ؛ وكلمة « صاحب » تُطلق على مَنْ تعرفه معرفةً تروق كيانك وذاتك ؛ فهناك مَنْ تصاحبه ؛ وهناك مَنْ تصادقه ؛ وهناك مَنْ تُؤاخيه ؛ وهناك مَنْ تعرفه معرفة سطحية ، ولا تقيم علاقة عميقة معه .

إن المعرفة مراتب ، والصحبة تآلف وتجاذب بين اثنين ؛ ومَنْ يصاحب النار فهو مَنْ تعشقه النار ، ويعشق هو النار ، ويحب كل منهما ملازمة الآخر ؛ ألاَ تقول النار لربها يوم القيامة :

﴿ هَلْ مِن مَّزِيدٍ (٣٠) ﴾ [ق]

أي : أن العذاب نفسه يكون مَشُوقاً أنْ يصلَ إلى العاصي .

ويقول الحق سبحانه بعد ذلك :

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ (١) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) ﴾

(١) المثلة : العقوبة الفاضحة التي يتمثل بها لشدتها وشهرتها وتتخذ عبرة وعظة . قال تعالى : ﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ .. (٦) ﴾ [الرعد] . أي : مضت العقوبات الزاجرة في الأمم العاصية مما يُعدُّ عبرة لهم ولغيرهم . [القاموس القويم ٢/٢١٦] .

والاستعجال أن تطلب الشيء قبل زمنه ، وتقصير الزمن عن الغاية ، فأنت حين تريد غايةً ما ؛ فأنت تحتاج لزمن يختلف من غاية لأخرى ، وحين تتعجل غايةً ، فأنت تريد أنْ تصل إليها قبل زمنها .

وكل اختيار للتعجُل أو الاستبطاء له مميزاته وعيوبه ، فهل الاستعجال هنا لمصلحة أمر مطلوب ؟

إنهم هنا يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، وهذا دليل على اختلال وخُلْف موازين تفكيرهم ، وقد سبق لهم أنْ قالوا :

﴿ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا[1] .. (٩٢) ﴾ [الإسراء]

وهكذا نجد هؤلاء الكافرين وهم يستعجلون بالسيئة قبل الحسنة ، كما استعجلوا أنْ تنزل عليهم الحجارة ، وهم لا يعرفون أن كل عذاب له مدة ، وله ميعاد موقوت . و لم يفكروا فى أنْ يقولوا : « اللهم إنْ كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه » .

بل إنهم قالوا :

﴿ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَـٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٣٢) ﴾ [الأنفال]

وهكذا أوضح لنا الحق سبحانه ما وصلوا إليه من خَلَل فى نفوسهم وفسادها ؛ ذلك أن مقاييسهم انتهت إلى الكفر ، وليس أدلَّ على فساد المقاييس إلا استعجالهم للسيئة قبل الحسنة ؛ لأن العاقل

---

(١) الكسفة : القطعة ، وجمعها : كسف وكِسَف . [لسان العرب ـ مادة : كسف] .

حين يُخيَّر بين أمرين ؛ فهو يستعجل الحسنة ؛ لأنها تنفع ، ويستبعد السيئة .

وما دامت نفوس هؤلاء الكافرين فاسدة ؛ وما دامت مقاييسهم مُخْتلة ، فلا بد أن السبب فى ذاك هو الكفر .

إذن : فاستعجال السيئة قبل الحسنة بالنسبة للشخص أو للجماعة ؛ دليلُ حُمْق الاختيار فى البدائل ؛ فلو أنهم أرادوا الاستعجال الحقيقى للنافع لهم ؛ لاستعجلوا الحسنة ولم يستعجلوا السيئة .

وهنا يقول الحق سبحانه :

﴿ ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة وقد خلت من قبلهم المثلات .. (٦) ﴾ [الرعد]

فلماذا يستعجلون العذاب ؟ ألم ينظروا ما الذى حاق بالذين كذّبوا الرسل من قبلهم ؟

وحين يقول الرسول : احذروا أن يصيبكم عذاب ، أو احذروا أنْ كذا وكذا ؛ فهل فى ذلك كذب ؟ ولماذا لم ينظروا العبر التى حدثتْ عَبْر التاريخ للأقوام التى كذبتْ الرسل من قبلهم ؟

و« المَثُلات » جمع « مَثُلة » ؛ و فى قول آخر « مَثْلة » . والحق سبحانه يقول لنا :

﴿ وإنْ عاقبْتم فعاقبُوا بمثْلِ ما عُوقبْتم به .. (١٢٦) ﴾ [النحل]

ويقول أيضاً :

﴿ وجزاءُ سيِّئةٍ سيِّئةٌ مثْلُها ..(٤٠) ﴾ [الشورى]

وهكذا تكون « مثُلات » من المثل ؛ أى : أن تكون العقوبة مُماثلة للفعل .

وقول الحق سبحانه :

﴿ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ .. ⑥ ﴾ [الرعد]

يعنى : أنه سبحانه سبق وأنزل العذاب بالمثيل لهم من الأمم السابقة التى كذبتْ الرسل ؛ إما بالإبادة إن كان ميئوساً من إيمانهم، وإما بالقهر والنصر عليهم .

ويتابع سبحانه فى نفس الآية :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ .. ⑥ ﴾ [الرعد]

أى : أنه سبحانه لا يُعجِّل العذاب لِمَنْ يكفرون ؛ لعل رجلاً صالحاً يوجد فيهم ، وقد صبر سبحانه على أبى جهل ؛ فخرج منه عكرمة بن أبى جهل ؛ وهو الصحابى الصالح ؛ وصبر على خالد بن الوليد فصار سيفَ الله المسلول ، بعد أن كان أحد المقاتلين الأشداء فى معسكر الكفر .

وتحمل لنا أخبار الصحابة كيف قاتل عكرمة بن أبى جهل ؛ إلى أن أصيب إصابة بالغة ، فينظر إلى خالد بن الوليد قائلاً : أهذه ميتة تُرضِى عنى رسول الله ؟

وتحمل لنا أخبار الصحابة كيف حزن واحد من المقاتلين المسلمين لحظة أنْ أفلتَ منه خالد بن الوليد أيام أنْ كان على الكفر ؛ وهو لا يعلم أن الحق سبحانه قد ادخر خالداً ليكون سيف الله المسلول من بعد إسلامه .

وهكذا شاء الحق أن يُفلت بعض من صناديد قريش من القتل أيام أنْ كانوا على الكفر ، كى يكونوا من خيرة أهل الإسلام بعد ذلك .

ويتابع سبحانه :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ .. (٦) ﴾ [الرعد]

فمع أن الناس ظالمون ؛ فسبحانه يغفر لهم ؛ لأنه سبحانه أفرح بعبده التائب المؤمن من أحدكم ، وقد وقع على بعيره ، وقد أضلَّه فى فَلاة[1] .

ولذلك أرى أن مَنْ يُعيِّر عبداً بذنب استغفر منه الله ؛ هو إنسان آثم ؛ ذلك أن العبد قد استغفر الله ؛ فلا يجب أنْ يحشر أحد أنفه فى هذا الأمر .

ونلحظ هنا قول الحق سبحانه :

﴿ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ .. (٦) ﴾ [الرعد]

وفى هذا القول يجد بعض العلماء أن الله قد استعمل حرفاً بدلاً من حرف آخر ؛ فجاءت « على » بدلاً من « مع » .

ونلحظ أن « على » هى ثلاثة حروف ؛ و « مع » مكونة من حرفين ؛ فلماذا حذف الحق سبحانه الأخفَّ وأتى بـ « على » ؟ لا بد أن وراء ذلك غاية .

أقول : جاء الحق سبحانه بـ « على » فى قوله :

﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ .. (٦) ﴾ [الرعد]

---

(١) أخرج مسلم فى صحيحه (٢٧٤٧) من حديث أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال : « لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة ، فانفلتت منه ، وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته ، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح : اللهم أنت عبدى وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح » .